وحش الأعماق

محمود سالم

وحش الأعماق

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

وحش الأعماق

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٠ ٢٩٤٣ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٩٩.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
مهمة في قاع البحر!	١١
الوحشُ المجهول!	١٩
العصارة الخارقة!	٢٧
اختفاء «ريما»!	٣٣
المواجهة!	٣٩

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

مهمة في قاع البحر!

المقر السري يُنادي ... المقر السري يُنادي ... برجاء الإجابة.

مجموعة الشياطين مطلوبون على وجه السرعة ... قيادة المقرِّ تُنادي.

لا مُجيب سيادة القائد ...

القائد: اتصِل برقم «صفر».

ضابط الاتصال: رقم «صفر» خارج البلاد يا أفندم.

القائد: أعرف.

الضابط: وهل تظن أن الشياطين معه؟

القائد: أنا لا أظن ... أنا أعرف أنهم ليسوا معه.

الضابط: إذن أين هم؟

القائد: تحت الماء.

الضابط: ماذا تقول يا أفندم؟!

القائد: تحت الماء يا حضرة الضابط ... لذلك لم يتلقَّوا اتصالنا بهم عبر ساعاتهم.

الضابط: هل لا تصل إشاراتنا لهم تحت الماء؟

القائد: بالطبع لا ... فذلك يستوجب أن يكونوا مُجهَّزين بمعدات خاصة ... ألم أقُل لك اتصِل برقم «صفر»؟

الضابط: تمام يا فندم.

وفي مطار «فرانكفورت» بمدينة «هايدلبرج» الألمانية، كان رقم «صفر» يُنهي بعض الإجراءات عندما انطلقت الموسيقى من تليفونه المحمول، تُنبِّهه إلى أن هناك من يطلبه ... وعندما عرف أنه المَقر، طلب من ضابط الاتصال تأجيل المكالمة لدقائق، ثم أسرع في إنهاء إجراءات وصوله.

وعندما انطلقت به سيارة الأجرة بين الأعشاب الخضراء المغطَّاة بطبقة رقيقة من الثلج الأبيض في الطريق من المطار إلى المدينة، تلقَّى الاتصال مرةً أخرى من المقر ... وقد كان القائد العام هو الذي يتحدَّث ... حيَّاه بحرارة، ثم سأله قائلًا: أين أنت الآن؟

رقم «صفر»: أنا أُطلُّ الآن من المرتفع على نهر «النيكر» في طريقي إلى إحدى المدن الألمانية.

القائد: «هايدلبرج»؟

رقم «صفر»: نعم هي.

القائد: إنها ضمن ولاية «بادن» ... أليس كذلك؟

رقم «صفر»: نعم هذا صحيح.

القائد: وهل سبقك أحدٌ من الشياطين؟

رقم «صفر»: لا ... فلم تتحدَّد لهم مهمة بعد.

القائد: إذن أين هم؟

رقم «صفر»: هل قمت باستدعائهم؟

القائد: نعم، ولم يستجيبوا.

رقم «صفر»: سأستدعيهم أنا على موجة الطوارئ.

وفي أعماق «البحر الأحمر»، أثبتت السيارة المقر ... أنها غواصةٌ ذات كفاءةٍ عالية ... وكان الشياطين سُعداء بها جدًّا.

وكان قرار تواجدهم فيها جميعًا يهدف إلى أن يتعوَّدوا على الإقامة وإدارة العمل من المقر المتحرِّك، هذا من ناحية ... ومن ناحية أخرى فإن هناك تقريرًا هامًّا عن الأعشاب المرجانية بمحمية «رأس محمد» طلب منهم رقم «صفر» إعداده على وجه السرعة، بعد غرق سفينة شحن وعلى ظهرها حمولة ضخمة من الأسمدة الزراعية، والتي يشك الخبراء أنها ملوَّثة إشعاعيًّا، ممَّا يهدِّد الحياة البحرية في المحمية، بل وفي منطقة «البحر الأحمر» كلها بالخطر ... وقد يُعرِّض المنطقة لكارثة مروِّعة ... وقد أثار هروب طاقم السفينة بعد غرقها، شكوك القيادات الأمنية في «مصر» في أن تكون هذه العملية مُدبرةً من قِبَل جهاتٍ أجنبية، بغرض تدمير مقوِّمات «مصر» السياحية.

لذا فعندما استدعاهم رقم «صفر» ولم يستجيبوا، عرف أنهم كلهم خارج المقر ... وأنهم يعملون على إنهاء التقرير كما طلب منهم ... ممَّا دفعه لاستخدام موجة الطوارئ ...

وسرت في أجسادهم جميعًا رجفةٌ خفيفة ... توجَّهوا على أثرها إلى غواصتهم ... حيث استقبلوا رسالة رقم «صفر» التي طلب منهم فيها ... الاتصال بالمقر.

وعند اتصالهم بالمقر ... أجابهم ضابط الاتصال في سعادة بالغة ... فها هو أخيرًا يحقِّق رغبة القائد ... ولم يضيِّع الوقت ... فقد اتصل به في حينه وأخبره أن الشياطين يطلبونه، فترك القائد ما بيده من مهامَّ وأسرع بالردِّ عليهم قائلًا: معكم القائد «حسام».

أحمد: صباح الخير قائد «حسام». لقد طلب منا الزعيم رقم «صفر» الاتصال بكم للأهمية.

القائد: نعم ... نعم ... كيف حالكم جميعًا أولًا؟

أحمد: بخير يا فندم ...

القائد: حسنًا ... وأين أنتم الآن؟

أحمد: تحت الماء في محمية «رأس محمد».

القائد: منطقة الشعاب المرجانية؟

أحمد: نعم.

القائد: هذا أمر رائع ... وعمَّ تبحثون هناك؟

أحمد: نُعد تقريرًا طلبه منَّا الزعيم.

القائد: عن غرق سفينة الشحن؟

أحمد: نعم وتأثيرها على الشعاب المرجانية.

القائد: مُصادفة رائعة.

أحمد: لماذا يا فندم؟

القائد: لقد بحثت عنكم كثيرًا من أجل هذا الموضوع.

أحمد: سيكون التقرير بين أيديكم في أقرب وقت إن شاء الله.

القائد: شكرًا ... وتمنياتي لكم بالتوفيق.

وما إن انتهى الاتصال، حتى التفت «أحمد» إلى بقية الشياطين، وعلامة استفهامٍ كبيرةٌ تعلَّقت بعينَيه أثارت فضول «ريما» التي ربتت على ساقَيها في حركة تهديد وهي تقول له: تكلَّم وحدك ... وقل كل شيء ... فلن أسألك.

فنظر لها مبتسمًا ولم يُجِب ... ممَّا أثار أعصاب بقية المجموعة، فاندفعت «إلهام» تقول له: تكلَّم يا «أحمد» وأخبرنا عمَّا يحدث ... فلنا أعصابٌ مثلك تتوتَّر.

أحمد: ما لكم يا جماعة؟ تحلَّوا بالصبر.

عثمان: تحلَّ أنت بالسكر، وقُل لنا ماذا حدث؟

أحمد: لقد كنت أتحدَّث مع القائد العام.

ريما: جيد جدًّا.

أحمد: وقد بحث عنَّا كثيرًا ليُكلِّفنا بمهمة.

إلهام: ألهذا أنت شارد؟

مصباح: طبعًا ... فإصدار الأمر بالمهام، مسئولية الزعيم رقم «صفر» وحده.

زبيدة: ولكنه القائد العام!

أحمد: أعرف ... ولكن ما أعرفه أكثر أن المنظمة التي ننتمي إليها تحكمها الدقة المتناهية في كل شيء.

عثمان: ماذا تقصد؟

أحمد: أقصد أن كل من يعمل فيها له اختصاصه الذي لا يتعدَّاه.

إلهام: ونحن من اختصاص الزعيم رقم «صفر».

ريما: وهو الوحيد القادر على قيادتنا.

قيس: على العموم ما طلبه القائد منا هو إعداد تقرير، وليس القيام بمهمة ... ولولا عجلة وأهمية الموضوع، لانتظرنا حتى عودة الزعيم من «ألمانيا».

أحمد: وهل ما قمتم به هنا يكفي لإعداد التقرير؟

إلهام: أعتقد ذلك.

ووافق الجميع على ما قالته «إلهام» ... من أن ما جمعوه من معلومات عن المنطقة والحادثة، تكفي لإعداد تقرير عاجل ... مع ترك باب العودة مرةً أخرى مفتوحًا ... وذلك لأن هناك نقاطًا غامضة لم تُكتشف بعد.

وفي نادي يخت القوات المسلحة ... تمَّ غسل السيارة المقرِّ بعد خروجها من الماء ... وبعد تمام تجفيفها انطلق بها الشياطين إلى المقرِّ السري بـ «الهرم».

وعندما دارت حول صينية ميدان الرماية كانت أجهزة الكمبيوتر في المقرِّ تُعلن عن قدومهم، وما إن اقتربت من البوابة الحديدية للفيلا حتى انفتحت تلقائيًّا ... فعبرتها إلى الممرِّ المرصوف الموصل إلى الجراج ... الذي انفتحت بوابته أيضًا لتعبره السيارة ... وأخيرًا ... أُغلقت كل الأبواب وساد الصمتُ المكان ... فلم تقطعه إلا وقع خطوات الشياطين في طريقهم إلى قاعة مركز المعلومات، وأمر صدر من «أحمد» بإعداد مشروب ساخن وبعض السندوتشات ليتناولوا الغداء وهم في غمرة العمل.

وأثناء انشغالهم بإعداد التقرير ما بين باحث عن معلومة ... ومنتظر لنتيجة قياس أو تحليل، ومضت نقطة حمراء أعلى يمين شاشة «أحمد»، فضغط على زر بلوحة مفاتيح

الكمبيوتر، فاختفت كل المعلومات من على الشاشة ... ليظهر بدلًا منها شعار مركز بحوث ومختبرات المقر ... ثم اختفى هو الآخر وحلَّ مكانه تقريرٌ عن نتيجة تحليل العينات ... التي أرسلها للفحص.

وبعد أن قرأه مليًّا، ضغط مرةً أخرى زرًّا بلوحة المفاتيح ... ثم ضغط آخر ... فخرج له التقرير مطبوعًا من طباعةٍ خاصَّةٍ بالجهاز.

وعندما همَّ بقراءته سمع همسات الشياطين حوله تُعلن انتهاءهم من إعداد تقاريرهم. وبعد موافقة الجميع، قاموا بإدخال أجهزتهم على الشبكة الخاصة بالكمبيوتر المركزي ... حيث قام بتجميع كل التقارير، وتحليلها ... وإعداد تقرير عام نهائي ... وطبع نسخة منه لكل واحد منهم.

ما إن شرعوا في قراءتها، حتى أعلن الكمبيوتر عن اتصال رقم «صفر» من «ألمانيا» ... فقام «أحمد» بتلقي الاتصال والكل مترقبٌ ممَّا سيُسفر عنه.

وبعد أن انتهى «أحمد» التفت إليهم قائلًا: فليجلس كل منكم إلى جهازه ويدخله على الشبكة العامة؛ فلدينا اجتماع مع الزعيم.

إلهام: ألَا زال في «هايدلبرج»؟

أحمد: ما أعرفه أنه في «ألمانيا».

وبعد أن انتهى الجميع من إعداد أجهزتهم ... أعطى «أحمد» إشارة الاستعداد لرقم «صفر»، وبدأ الاجتماع عبر آلاف الأميال ... حيث ظهرت على شاشاتهم الخطوط البيانية المتراصة، والتي تدل على أن رقم «صفر» يجلس الآن بينهم ... وجاء صوته الرخيم قائلًا: مساء الخير أم صباحه.

أحمد: مساء الخير سيد «صفر».

رقم «صفر»: اتصلت بكم في السيارة فلم أجِدكم، وعرفت أنها خارج الخدمة ... فأيقنت أن تكونوا في مركز المعلومات.

إلهام: هو كذلك سيد «صفر».

رقم «صفر»: هل انتهت «إلهام» من إعداد تقريرها؟

إلهام: كلنا انتهينا منه ... حتى الكمبيوتر المركزي انتهى من إعداد التقرير العام.

رقم «صفر»: وماذا به من جديد؟

أحمد: «نجمة البحر» ... هذا الحيوان البحريُّ المتعدِّد الأرجل ... لم يكن موجودًا في «البحر الأحمر» من قبلُ ... والآن وفجأةً أصبح منتشرًا بصورة كبيرة.

رقم «صفر»: وما علاقة هذا الحيوان بالشعاب المرجانية؟

أحمد: يقول التقرير إن هذا الحيوان الذي يُشبه الأخطبوط، يمتلك ما بين ١٠ أو ١٣ رِجلًا يحتضن بها القطع المرجانية ... ثم يُخرج قناته الهضمية ... ويقوم بإفراز عصارات هاضمة تهضم جسم الحيوان الداخلي للشعاب ... ثم يمتصُّ المادة المهضومة بمماصَّات خاصة به ... ويبقى بعد ذلك الهيكل المرجانيُّ للشعاب المرجانية فقط مُعرَّضًا لعوامل التعرية.

رقم «صفر»: إنه حيوان خطير جدًّا ... فهو يقضي على الموجود من الشعاب المرجانية، ويقلِّل فرصة ظهور أجيال جديدة منها.

أحمد: نعم ...

رقم «صفر»: وهل وجوده الآن وفجأةً في «البحر الأحمر» جاء من قبيل المصادفة ... أم إن هناك أسبابًا طبيعية معروفة ... أم إنكم تشكُّون في مؤامرة؟

أحمد: لم نصل إلى شيءٍ بعد.

رقم «صفر»: وبالنسبة لشِحنة الأسمدة الغارقة ... هل عرفتم هُوية السفينة.

أحمد: نعم ... إنها لإحدى شركات النقل في دول شمال «آسيا».

رقم «صفر»: هل تعمل لصالح أحد؟

أحمد: إن الظواهر العامة تقول ذلك.

رقم «صفر»: وهل لهذه الشِّحنة علاقة بـ «نجمة البحر»؟

أحمد: لم يُفِدنا مركز الأبحاث عن ذلك بعد.

رقم «صفر»: أهناك شيء آخر تودون أن أعرفه؟

أحمد: نعم؛ فسنعود إلى «رأس محمد» مرةً أخرى لاستكمال البحث.

رقم «صفر»: لا مانع ... على أن تُقسِّموا أنفسكم إلى مجموعات عمل.

أحمد: سيتم ذلك سيد «صفر».

رقم «صفر»: وسأتصل أنا بالقائد العام ... أشكركم. وفَّقكم الله.

انقطع الإرسال عن شاشات الكمبيوتر ... فأوقفوها عن العمل ... وباتفاق سريع ... تحرَّك الجميع إلى أجنحتهم الخاصة.

ومن الشباك المجاور لسرير «أحمد»، رأى في السماء ما ذكَّره بـ «البحر الأحمر» ... إنها النجوم المنتشرة بكثافة وكأنها هي الأخرى تسبح قاصدةً «رأس محمد»، وشعر بغصة في حلقه عندما تذكَّر ما تفعله «نجمة البحر» بالشعاب المرجانية ... وما ستئول إليه أجمل غابة مرجانية في العالم ... إذا لم يرحل هذا الحيوان ... وتعجَّب كثيرًا عندما تذكَّر صورته

... وهو ملتصق بقاع البحر ... وأصابعه تتسلَّل بصعوبة تحت جسمه ... محاولًا الإمساك به ... وكأنها تتسلَّل تحت حجر ضخم ... وعندما أفلح في الإمساك به ... جذبه بقوة حتى استطاع رفعه، وعندما خرج به من الماء ... رأى على أذرعه غابات كثيرةً من المماصات والتي تُشبه الديدان الحية، في جسمها وفي حركتها.

وسرح بخياله بعيدًا ... حيث توجد المعامل ومراكز البحوث وأبحاث الهندسة الوراثية ... وتخيَّل نفسه واحدًا من أولئك العلماء ... وأمامه أحد حيوانات «نجمة البحر»، فما كان سيفعل بها هل سيُكسبه صفات جديدةً تجعله نافعًا للإنسان؟

وماذا لو كان هذا العالم ذا ميول عدوانية ... هل سيكسبه صفات دمويةً مدمرة ... وهنا اقشعرَّ بدنه ... فهذا الحيوان لو زاد حجمه وأصبح في حجم حوت ضخم مثلًا ... لاكتسبت مماصاته هذه قوة ألف ذراع بشرية ... واستطاعت عصارته الهاضمة ... أن تُذيب حيوانًا في حجم الفيل ... وأن تلتهم أعدادًا قليلة من كل ما لدى «مصر» من شعاب مرجانية في أسابيع قليلة.

وكاد النوم يتسلَّل خارجًا من غرفة نومه بلا عودة ... لولا أنه تذكَّر مُهمة الإعداد لرحلة الغد ... من أجل استكمال البحث عن المزيد من أسرار هذا الحيوان، وكيفية دخوله خلسةً إلى مياهنا ... وعن العلاقة بين وجوده وشَحنة السماد الغارقة ...

وترك «أحمد» سريره عندما شعر بصعوبة النوم ... وخرج يمشي لدقائق في الممر الفاصل بين غرفهم، فاصطدم في آخره بـ «عثمان» الذي كان يفعل نفس الشيء لأنه قد راودته الأفكار.

في غضون دقائق ... كان الممر يزدحم بالشياطين الذين لا يجدون رغبةً في النوم ... فقد راودتهم ما راود «أحمد» من أفكار.

وانفتح باب المصعد بجوار باب غرفة «فهد» وخرجت منه «إلهام» في حال يقظة تامة ... وانفجر كل الشياطين في الضحك ... سألها «عثمان» قائلًا: هل رأيتِ «نجمة البحر» العملاقة يا «إلهام»؟

إلهام: هل رأيت أنت؟

عثمان: بالطبع لا ...

إلهام: لقد رأيتها!

الوحشُ المجهول!

أحمد: رأيتِ ماذا؟

إلهام: «نجمة البحر» العملاقة يا «أحمد»!

عثمان: أين ومتى؟ إن الذهاب إلى «البحر الأحمر» والعودة ونزول البحر والخروج منه يحتاج إلى يوم كامل!

أحمد: رفقًا بها يا «عثمان»، ولنجتمع في مركز المعلومات ...

قال عثمان: هل أستدعي بقية الشياطين؟

أحمد: لا أرى ضرورةً لذلك.

وفي مركز المعلومات، رأى الشياطين ما أثار دهشتهم ... فقد كانت بقية المجموعة، تجلس أمام أجهزة الكمبيوتر في حالة تركيز شديد ... إلا أن «ريما» شعرت بوجودهم ... فالتفتت، وعندما رأت «أحمد» ... صاحت في سعادة قائلة: من أيقظك؟

أحمد: النجمة العملاقة.

ريما: هل زارتك؟

أحمد: هل ما تقوله «إلهام» حقيقي؟

ريما: وماذا قالت «إلهام»؟

عثمان: إنها رأت النجمة العملاقة!

ريما: «إلهام» لا تقول غير الحقيقة.

أحمد: هل كنتِ معها؟

ريما: بل كنا معها أنا و«زبيدة» و«هدى».

عثمان: وأين هي الآن؟

ريما: ادخلوا واجلسوا أولًا حتى نستطيع التحدث ...

دخل الشياطين جميعهم آخذين أماكنهم خلف أجهزة الكمبيوتر ... وما إن رأتهم «زبيدة» حتى صاحت قائلة: واو! ... أكُلكم رأيتموها؟ ...

أحمد: أخبرينا بالموضوع يا «إلهام»!

إلهام: لقد تقلَّبتُ في فراشي كثيرًا أُحاول النوم بلا جدوى ... وراودتني كثير من الأفكار، فعدت إلى مركز المعلومات؛ لتأمُّل التقرير الذي أعددناه مرةً أخرى ... فوجدت تقرير مركز بحوث المقر، عن معلومات شِحنة السماد الغارقة ... والمثير في هذا التقرير أن العينة كانت تحتوي على جينات لحيوان بحري، وبالرجوع لبنك الجينات، وجدنا أنها تخصُّ «نجمة البحر» ...

علت الهمهمات بين الشياطين ... وتداخلت الأصوات، فرفع «أحمد» يدَيه معترضًا وهو يقول: يا جماعة أرجوكم الهدوء لنسمع بقية ما عندها.

إلهام: وقد أخبرنا التقرير أن علماء مركز بحوث المنظمة عاكفون على دراسة هذه الجينات، ومعرفة التعديلات التي أُدخلت عليها ... والغرض منها ...

«أحمد» إنه أمر خطير للغاية، ولكن حتى الآن لم تخبرنا بشيء عن النجمة العملاقة التي رأيتها ...

إلهام: لقد لجأت إلى موسوعة المركز ... لمعرفة مدى ما وصل إليه العلماء ومركز البحوث عن طريق الهندسة الوراثية وتعديل الصفة الوراثية في الجينات.

عثمان: وماذا عرفت؟

إلهام: لقد استطاع العلماء زيادة حجم كثير من النباتات ... وجعلها قادرةً على تحمُّل الظروف المُناخية الصعبة، بل واستطاعوا الوصول إلى قمح يمكن ريه بالماء المالح ... واستطاعوا إكساب بعض أنواع الفاكهة طعم أو لون فاكهة أخرى ...

أحمد: هل تسمحين لي أن أكمل؟

إلهام: تكمل ماذا؟

أحمد: هذا الموضوع.

إلهام: تَفضَّل ...

أحمد: لقد أعطيتِ الكمبيوتر كل هذه المعلومات مع تصوراتك الخاصة ... فأعطاك النتيجة؛ نجمة عملاقة بها مماصات أطول وأقوى من أذرع الأخطبوط، فما بالك بأذرعها العشرة؟

في هذه اللحظة ضغطت «إلهام» على زر بلوحة مفاتيح جهاز الكمبيوتر، فأضاءت شاشته ... ثم طلبت منه عرض ما توصَّلت إليه ...

واتجهت أنظار كل الشياطين إلى الشاشة ... فطلب منها «أحمد» أن يوصل الكمبيوتر بالشاشة العملاقة، وساد الصمت القاعة ... وترقَّب الجميع ما سيرَونه ... ولم يفيقوا إلا على صوت «أحمد» يقول لهم: أنا متأكد أن هذا الفيلم يُجسِّد تصوُّر كل واحد منكم.

عثمان: نعم ... نعم.

فهد: إنه شيء مُخيف أن يكون ذلك الكائن في «البحر الأحمر».

زبيدة: لو حدث ما نتوقَّعه فسيتحوَّل لون البحر إلى الأحمر فعلًا ...

أحمد: تقصدين بسبب ما سينزف من دماء فيه؟

زبيدة: نعم.

عثمان: هذا الحيوان لا يترك نقطة دم واحدةً تنزف.

أحمد: نعم ... إنه يمتص كل شيء ...

التفت الجميع إلى «عثمان» و«أحمد» في غير تصديق ... وبداخلهم رجاء ألَّا يحدث ذلك ... لأن وجود هذا الحيوان بهذا الحجم وهذه الصفات ... سيكون وبالًا على «مصر» وعلى كل الدول المُطلة على «البحر الأحمر» ... ومن المؤكَّد أنه سينتقل إلى البحر المتوسط ... وسيهدِّد الثروة السمكية بالفناء ... وسيهدِّد سياحة الشواطئ ... وسيهدِّد البيئة البحرية ...

أحمد: ولكن حتى الآن ما زال كل ما نفكِّر فيه تصورات وخيالًا ...

إلهام: وممكن حدوثه ...

أحمد: بالطبع ... وأكثر من ذلك؛ فالهندسة الوراثية حقَّقت إنجازات مُذهلة ... وإن لم تحكم الأخلاقُ وضمائر العلماء ... فسيتحوَّل كل هذا العلم إلى آلاف القنابل الذرية كالتي أُسقطت على «هيروشيما» و«ناجازاكي» في «اليابان».

عثمان: المشكلة ليست في العلماء ... المشكلة في الإنسان الذي يستخدم علمه ويطوِّعه لأغراضه.

إلهام: الآن فقط أستطيع النوم، بعد أن زال توتري بحديثي معكم ... شكرًا ...

قالت «إلهام» ذلك ... وتركتهم وانصرفت إلى غرفتها ... وكان هذا أيضًا ما فعله بقية الشياطين. وفي التاسعة صباحًا وفي جراج المقر ... كان «أحمد» يُراجع تجهيز السيارة المقر ... استعدادًا لرحلة الغوص والبحث عن الحقيقة.

كانت «إلهام» قد لحقت به ويبدو على وجهها الانشغال بموضوع هام ... فانتحى بها جانبًا وسألها عمَّا يشغلها، فقالت له: «أحمد» ... إن الجينات المعدَّلة يتم حقنها بالدم.

أحمد: ماذا تقصدين؟

إلهام: أي ليس لها علاقة بشُحنة السماد.

أحمد: إذن لماذا وجدها في نفس العينة؟

إلهام: إن شِحنة السماد كانت توجد بينها أحواض تحتوي على مجموعة من حيوان نجم البحر ... وقد تمَّ تفريغها قبل إغراق السفينة. وقد جُرحت بعض هذه الحيوانات التي تمَّ حقنها حديثًا ... فخرجت منها هذه الجينات.

أحمد: أو علقت بها عند حقنها.

إلهام: نعم.

أحمد: ولكن إن لم يكن لشِحنة السماد دور فيما سيحدث لهذا الحيوان ... لماذا تمَّ إغراقها؟

إلهام: أعتقد أن مُهمة البحث هذه المرة ستكون شاقة ... لأن النتائج المطلوبة منها أكثر دقة.

أحمد: صدقتِ ...

وكما أمر رقم «صفر» قام «أحمد» بتقسيم الشياطين إلى ثلاث فرق عمل.

الفرقة الأولى: وتتكوَّن منه ومن «إلهام» و«عثمان» و«ريما» و«فهد» لمسح قاع البحر.

الفرقة الثانية: وتتكوَّن من «مصباح» و«باسم» و«بوعمير» و«قيس» و«هدى» ... وتمكُث هذه المجموعة في مركز المعلومات في محاولة للبحث عن الجديد وتفسيره والتنسيق فيما بينهم وبين مركز البحوث لسرعة الوصول لحقيقة كل ما يرسلونه من عينات.

الفرقة الثالثة: وهي مجموعة الاتصال، وعليها الربط بين فرقة الغوص وفرقة المعلومات، على أن يكون الجميع في حالة تأهُّب لِمَا يستجد.

وبأمر مباشر ... توجَّهت «إلهام» و«ريما» وخلفهما «عثمان» و«فهد» إلى السيارة المقر ... إلى أن انتهى «أحمد» من مراجعة أسلحته الشخصية ... ثم استقلَّ السيارة جالسًا خلف عجلة القيادة.

وبلا صوت تحرَّكت بهم في الممر الخلفي لحديقة المقر، حتى اقتربت من باب الخروج ... فانفتح تلقائيًّا، وقبل أن يغادروه ... سمعوا صوت القائد العام يقول لهم: بالتوفيق إن شاء الله.

اندهشت «ريما» وسألتهم قائلة: من أين هذا الصوت؟!

عثمان: صادر من تابلوه السيارة.

ريما: لا بل صادر من قلب القائد العام.

أحمد: الأنثى ... أنثى ... حتى في أدق المواقف وأحرج اللحظات لا تنسى مسألة القلب هذه.

إلهام: وهل ينساها الرجل؟

فنظر لها «أحمد» مليًّا ... وقد كانت تجلس بجواره، ثم قال: حتى لو نسيها ... فإنه يذكرها بمجرد أن يرى الأنثى.

ابتسمت «إلهام» في نشوة ... قطعها «عثمان» قائلًا: أكثر قلب يشغلني الآن هو قلب الأحداث.

ريما: أتعرفون أكثر القلوب غموضًا؟

عثمان: قلبي.

ريما: أنا لا أمزح.

فهد: أعرفه أنا.

ريما: وما هو؟

فهد: قلب الليل.

ريما: عندك حق ... مع أني أقصد شيئًا آخر.

أحمد: أعرف ما تقصدين.

ريما: وأنا واثقة من ذلك.

أحمد: قلب البحر أليس كذلك؟

ريما: هو كذلك ... لأنه أكثر قلب يشغلني الآن.

قطعت السيارة ثلثَي شارع «الهرم» في سلاسة ويُسر، ولكن عندما اقتربت من النفق ... أصبحت تسير كالسلحفاة ... ممَّا دعا «أحمد» لاستعمال سارينة الطوارئ ... وفي دقائق كان قد عبر النفق إلى كوبري الجيزة العلوي، وانفتح له الطريق بعد ذلك حتى غادر القاهرة ... فأطلق لعداد السرعة العِنان ... ومعه انطلق خياله سابحًا مع «نجمة البحر».

فكم قابل نجومًا! ... وكم عدها في السماء في ليالي الصيف الحالمة! ... فلم تشغله مثل هذه النجمة آكلة الشعاب المرجانية ... هذا الحيوان الرخو ... الذي يتحوَّل إلى غابة مرجانية جميلة لها ألوان جذابة ... تحوي أجمل ما رأت العين من أسماك زينة.

هل تُهدِّد هذه النجمة كل ذلك ... لقد رآها كثيرًا مُعلَّقةً على أبواب منازل الصيادين ... وفي المتاحف البحرية ... وفي بيوت كثير من أصدقائه ... ولم يرَها حيةً إلا هذه المرة. ولم يعرف أنها بهذه الشراسة إلا هذه المرة ... وكثُرت الأفكار في رأسه، فقطع على الشياطين

صمتهم قائلًا: تصوَّروا أن هذا الحيوان يُخرج جهازه الهضمي ويُفرز عصارته الهاضمة على الفريسة، ويمتصها بمماصاته ... بعد أن تذوب.

إلهام: تقصد «نجمة البحر»؟

أحمد: إنها أعجب مخلوق عرفته ... إنها مصنع حي.

عثمان: إنها تقول لك إنه ليس مُهمًّا لكي تأكل وتهضم أن يكون لك فم وأسنان.

فهد: إنها قدرة الله سبحانه.

ريما: المشكلة هي في استخدام هذه التركيبة الرائعة والغريبة فيما يضر ولا ينفع.

إلهام: تقصدين التخريب الذي يُحدثه العلم في البناء الوراثي؟

ريما: نعم.

كانت السيارة قد اقتربت من خليج السويس، عندما طلب «أحمد» من «عثمان» أن يحل محله أمام عجلة القيادة ... ثم انتقل هو إلى المنطقة الخلفية ... حيث استبدل ملابسه بملابس الغوص ... وبمجرد أن لامست السيارة سطح الماء، قفز منها مختفيًا لفترة ... ثم عاد للظهور على سطح الماء أيضًا متعلِّقًا بالسيارة لمسافة طويلة نسبيًّا ... ثم عاود الكَرة مرةً أخرى ... وهكذا حتى قطعت السيارة مسافةً كبيرة داخل الماء ... فأعطى لـ «عثمان» الأمر. وبضغط بعض الأزرار ... تحوَّلت السيارة إلى غواصة صغيرة ... واختفت تدريجيًّا تحت الماء.

وعندما بدأت الهبوط في مستوًى رأسي، طلب من «فهد» و«عثمان» إبدال ملابسهما للغوص معه، على أن تقوم بقيادة الغواصة «إلهام» تعاونها «ريما». ومن باب مستدير بأسفل الغواصة ... «أحمد» ومن ورائه «عثمان» وتبعهما «فهد».

وعلى هَدي كشاف قوي ... في قاعة الغواصة، سبح الشياطين الثلاثة وقد زوَّدوا نظارة الغوص بعدسات مُكبرة ...

وقد أصابتهم هذه العدسات في أول الأمر بالرعب ... فقد رأوا «نجمة البحر» في حجم الغواصة ... ونسوا أنهم يرَونها مكَبَّرةً عشرات المرات ... حتى ذكَّرتهم «إلهام» أن هذه العدسات يمكنهم التحكم فيها يدويًّا ... برفعها أو إنزالها ... إلا أن «عثمان» رفض أن يستعين بها مرةً أخرى ... فهي تُذكِّرهم بما ستكون عليه «نجمة البحر» المُعدَّلة.

ومرَّ بجوارهم قرش صغير لم يتركه «عثمان» دون مداعبة وهو يقول في نفسه أنا لا أخاف منك لأني أعرف حدود قوتك ... ولكني أخاف من هذا الكائن الضعيف لأني لا أعرف حدود قوته بعد ...

وبعد سباحة مسافة غير قصيرة ... لاحظ «أحمد» أن سربًا ثلاثيًّا من «نجمة البحر»، يتحرَّك خلفهم أينما ذهبوا، ممَّا أثار دهشتهم ... لأنه من المفروض أن يفر هاربًا منهم بمجرد أن يراهم؛ فهل تحوَّل هذا المخلوق المُسالم إلى مخلوق عدواني ... قوي ... مهاجم؟ ... هل أصبح له في الإنسان غرضٌ أو هدف؟

وجرَّب «أحمد» أن يُخيف هذا الحيوان بعصًا كهربية يحملها في يده ... وكان من العجيب أنه هاجمها، ثم قلَّص أرجله العشرة وفردها في حركةٍ مفاجئةٍ ليبتعد عن عيون الشياطين، وكذلك فعل بقية السرب ... ممَّا جعل الشياطين يدورون حول أنفسهم بحثًا عن سرب ذلك الحيوان المراوغ.

وفي قلب غابة الشعاب المرجانية، بحثت عيونهم وترقَّبت آذانهم ... إلا أن ازدحام المكان بالأسماك المتنوِّعة صعَّب من عملية البحث.

وزاد الأمرَ صعوبةً محاولةُ مجموعة من أسماك القرش للانفراد بأحد الشياطين وافتراسه، ورغم أنهم استخدموا أحدث أجهزة الدفاع عن النفس لإبعادها ... إلا أنها كانت تعود أكثر إصرارًا على الفوز بوجبة لحم آدمي شهي.

العصارة الخارقة!

في مدينة «هايدلبرج»، كانت مُهمة رقم «صفر» قد اقتربت من الانتهاء؛ فقد استطاع الوصولَ عن طريق عميل سابق للمخابرات الروسية إلى مدير أحد مراكز البحوث العاملة في مجال «الهندسة الوراثية»، والتي تعتمد على الطلبات الخاصة؛ أي أنهم يُؤجِّرون عملهم وموهبتهم لمن لديه المال ليدفع.

وعرف من خلالهم معلومات كثيرةً عن الشِّحنة الراقدة في قناة السويس، ومن أصحابها، وقد أسرع بعدها بالاتصال بالشياطين في مقر «الهرم»؛ لعقد اجتماع عاجل، فلم يجد «أحمد»، وعرف أنه في أعماق مياه «البحر الأحمر»، فأسرع بالاتصال به ... فلم يجد في الغواصة الصغيرة إلا «إلهام» و«ريما»، فطلب منهما تحذير «أحمد» ومن معه من خطورة الحيوانات البحرية في المنطقة التي غرقت فيها شِحنة السماد ... لاحتواء هذه الشِّحنة على هرمونات ومادة مُخلَّقة ... تُغيِّر من سلوك هذه الحيوانات وتجعلها دمويةً وشرسة.

فانتاب الفتاتَين قلقٌ شديد على «أحمد» وزملائه ... وزاد من هذا القلق عدم تمكُّنهما من الاتصال بهم منذ صباح ذلك اليوم ... ولم يكن ذلك بسبب عطب أصاب أجهزة الاتصال ... بل كان قرارًا اتخذه الشياطين في غابة الشعاب المرجانية؛ حتى لا تثير الموجات الصادرة من الأجهزة أعصاب أسماك القرش المحيطة بهم. وقد كانت تتحرَّك حولهم في عصبية ... ممَّا أصاب الأسماك الصغيرة بالتوتر ...

ولم يعرف الشياطين سبب ثورة أسماك القرش ... إلا عندما رأَوا جسد إحداها وقد التصقت به نجمة البحر.

وكانت هذه الملاحظة، بمثابة اتفاق على العودة إلى الغواصة لعقد اجتماع عاجل ومناقشة ما يجري.

وقد أثارت الجلَبة الصادرة من مؤخرة الغواصة انتباه «إلهام»، وقبل أن تلجأ إلى أجهزة الاستطلاع، كان «أحمد» يناديها ... طالبًا منها مشروبًا ساخنًا عاجلًا ... وسمعته «ريما» من غرفة القيادة، فملأت له كوبًا من ماكينة صنع الشاي ... وذهبت إليه لتجدهم وقد ازدادوا عددًا ... وأصبحوا ثلاثة، فبادرتهم قائلة: «عثمان» هنا أيضًا.

عثمان: و«فهد» أيضًا؛ أي إن الشاي المطلوب لثلاثة.

فالتفتت إليهم «إلهام» حاملةً صينية عليها بعض أكواب الشاي وهي تقول: الحمد لله على سلامتكم. لماذا لم تُجيبوا على اتصالنا؟ ... هل لم يصلكم؟

أحمد: لا ... بل استقبلناه بوضوح ... ولكن كانت الظروف لا تسمح بالإجابة.

ريما: لقد اتصل الزعيم من «ألمانيا».

عثمان: هل هناك جديد؟

إلهام: لقد كان قلقًا عليكم جدًّا.

فنظر لها «أحمد» في تساؤل ودهشة ... فكيف عرف رقم «صفر» ما يحدث تحت مياه البحر. فأكملت كلامها وأخبرتهم بما قاله رقم «صفر».

فردَّ عليها «أحمد» قائلًا: أولًا ما رأيناه يثير أعصاب أسماك القرش حقيقة ... هو ذلك السلوك الذي أصبحت تسلكه «نجمة البحر»؛ فمن المعروف أنها حيوان مُسالم وغير دموي ... أمَّا عن سلوكها مع الشعاب المرجانية؛ فهي وسيلتها للحصول على الطعام.

إلهام: وما الجديد؟

أحمد: الجديد أنها أصبحت تلتصق بجسد أسماك القرش، ومن الواضح أنها تسلك معها نفس سلوكها مع الشعاب المرجانية.

ريما: تقصد أنها تُخرج جهازها الهضمي ... وتُفرز عصاراتٍ هاضمة على جسم سمك القرش وتمتصه بعد ذلك بواسطة مماصاتها؟!

عثمان: أوه ... مسكين سمك القرش هذا.

أحمد: لا معنى لالتصاقها به غير ذلك.

إلهام: ولكن كيف لحيوان في حجم هذه النجمة أن يلتهم سمكة قرش في حجم غواصتنا؟

فهد: البحر ليست به نجمة واحدة، بل الآلاف.

ريما: معك حق.

أحمد: الموقف جد خطير ... فكل ما يحدث يدل على أن هناك طفرةً كبيرة حدثت لـ «نجمة البحر» ... وشِحنة السماد الغارقة هذه تحتوي على البيئة المساعدة لنجاح هذه الطفرة.

إلهام: معنى ذلك أنها تحوَّلت عن التهام الشعاب المرجانية إلى الحيوانات البحرية الكبيرة، ولم تعد هناك خطورة على الحديقة المرجانية.

فهد: ولكن هناك خطورة على الكائنات البحرية النادرة التي تزخر بها المنطقة.

إلهام: ومن قال لكم إنها تحوَّلت عن الشعاب المرجانية ولم تصبح أكثر نهمًا لالتهامها؟

التفت الجميع ينظرون لها في دهشة وعدم تصديق، ثم ما لبثوا أن انتفضوا من مجلسهم يجرون في اتجاه مؤخرة الغواصة ... فاستوقفتهم «إلهام» قائلة: إلى أين؟

فهد: سنعود للعمل.

إلهام: إنه ميعاد الغداء.

عثمان: ومن سيرغب في الطعام وهذه المهام تنتظره.

إلهام: النظام نظام. الآن ميعاد الطعام.

أحمد: لنبقَ للغداء والتشاور.

كانت شبابيك الغواصة الصغيرة تبدو كأحواض السمك التي تزخر بأجمل ما خلق الله من أسماك وحيوانات بحرية ... وكانت عيون الشياطين تتابعها في شغف وهي تقترب من زجاج النوافذ إلى حد الالتصاق به ... وكأنها ترغب في مشاهدة الشياطين وهم يتناولون غداءهم.

وشعرت «ريما» أن الأسماك جائعة، وتمنَّت لو أنها ألقت في الماء ببعض طعامهم دون فتح نافذة أو النزول إلى الماء، فقال لها عثمان: أولًا حتى لو رغبت في فتح نافذة من النوافذ ... فلن تتمكَّني لأن الغواصة لديها أمرٌ ذاتي ... بإغلاق جميع المنافذ وهي تحت الماء ... ثانيًا ... من قال لك إن هذه الأسماك جائعة ... إنها فقط تشاهد فيلمًا علميًّا. وهنا انفجر الجميع ضاحكين ... وقد أحالت خفة دم «عثمان» كآبة المكان إلى ابتسامة كبيرة ... أضفت على الطعام مذاقًا رائعًا.

إلى أن ظهرت خلف زجاج إحدى النوافذ نجمة من نجوم البحر ... تلم أذرعها وتمدها في حركات متتالية بطيئة ... وكأنها تتأمَّل ما بداخل الغواصة ... وهنا صاح «فهد» قائلًا: أهذا الحيوان يُرى؟

عثمان: على قدر علمي ... لا يوجد حيوان لا يُرى ... انظر انظر.

التفت الجميع على أثر صيحة «عثمان» ينظرون إلى النافذة، فرأوا أن «نجمة البحر» قد التصقت بزجاجها ... وشرعت تأتي بحركات غريبة ... فصاحت «ريما» قائلة: إنها تُخرج جهازها الهضمي.

أحمد: غير معقول! ... هل ستُفرز عصارتها الهاضمة على الزجاج؟!

إلهام: ما أعرفه أنها تفعل ذلك مع الأجسام الرخوة فقط!

ريما: ألم نتفق على أن صفاتها الوراثية اختلفت؟

عثمان: يجب أن نفعل شيئًا ... فقد تستطيع إذابة زجاج النوافذ ... ويغمر الماء الغواصة ونموت جميعًا بداخلها.

أحمد: لن نستطيع عمل شيء لإبعادها، ولكن علينا تأمين أنفسنا من الغرق.

إلهام: كيف؟

أحمد: بالصعود إلى سطح الماء.

عثمان: لا داعي، سأنزل أنا إلى الماء الآن ... وسأبعدها عن النافذة.

ريما: لا يا «عثمان»؛ فلن تتركك حيًّا ... لقد تحوَّلت إلى وحش من نوع جديد.

عثمان: يجب أن نُكمل مهمتنا.

وعندما نظر لـ «أحمد»، أجابه بنظرة عينه موافقًا ... ولكن ليس على الخروج وحده ... بل على أن يخرج ثلاثتهم.

وانزعجت الأسماك حول الغواصة ... وابتعدت عنها في فزع ... وهي ترى الشياطين الثلاثة يخرجون تباعًا من مؤخرتها ... ويدفعون الماء بزعانفهم ... ويدورون حولها، حتى اقترب «عثمان» من «نجمة البحر» الملتصقة بالنافذة، فدفعها بعصاه الكهربائية ... فلم تتحرَّك، فأطلق من العصا شَحنةً كهربائية ... فلم تؤثِّر فيها، ففرد ذراعه قاصدًا الإمساك بها ... وإذا بـ «أحمد» يدفعه بعيدًا عنها خوفًا من أن تلتصق به، ولا تتركه فنظر له من وراء نظارته في حيرة، فأشار له «أحمد» بحربة حادة، فابتسم له ... فاندفع شاهرًا الحربة وغرسها في ظهر النجمة ... ثم شدَّها إلى الخلف ... فخرجت من ظهرها دون أن تترك هي النافذة ... وخرج من جرحها سائل أبيض، وسبح في الماء كخيط رفيع.

ولم تمضِ دقائق إلا وتجمَّعت عشرات النجمات حول الغواصة ... فالتصقت بعضها بنوافذها ... ودارت الأخرى حولها، وأذرعها تتقلَّص وتتمدَّد بعصبية، وما لبثت أن أحاطت بالشياطين ... تسبح معهم أينما يذهبون، وكلما اقتربت من بذلتهم انتفضوا بشدة ليدفعوها عنهم.

غير أن «عثمان» كان مشغولًا بإبعادها عن جسده ... فقد فاجأته إحداها بالتصاقها على زجاج خوذته ... فأربكته ... وشلَّت تفكيره، ولم يعد يرى ما حوله، ولم يشعر إلا وأصابعه تُمسكها بقوة، وتنتزعها من على زجاج الخوذة، فتكسَّرت بين أصابعه ... وسالت خيوط السائل الأبيض فانتشرت من حولهم لتجذب المزيد منها ... وتُحوِّلها إلى كائن متوتر شرس، مُهاجم.

ولم يكن من العقل الاشتباك مع هذا العدو الضخم ... وهم لا يعرفون عنه شيئًا ... ولا عن هذا السائل الأبيض ومدى خطورته ... فقد اكتفَوا بالابتعاد عنه، وأصبح الحل الوحيد في هذه الظروف ... هو الاحتماء بالغواصة ... والارتفاع بها فوق سطح الماء، والابتعاد عن شِحنة السماد الغارقة؛ فهي البيئة التي يستطيع هذا الحيوان العيش فيها.

وبإشارة عن عصاة «أحمد»، تبعه «عثمان» و«فهد» يشقون طريقهم بصعوبة ... محاولين الوصول إلى مؤخرة الغواصة ... وكانت «إلهام» تُتابع كل ذلك على شاشة المراقبة في كابينة القيادة ... وفي محاولة منها لمساعدتهم بقتل عدد غير قليل من «نجمة البحر» ... فمزَّقتها ... وانتشر السائل الأبيض حول الغواصة ... ولم يعد الشياطين يرَون شيئًا من الأعداد الكبيرة من «نجمة البحر» التي جذبها هذا السائل.

وازداد الأمر تعقيدًا ... ولم يعد أمام «أحمد» غير الاتصال بـ «إلهام» لتقود الغواصة بعيدًا عن هذا المكان.

ولم يكن «عثمان» يعلم عن هذا القرار شيئًا؛ لذا ... فقد فوجئ هو و«فهد» باختفاء الغواصة التي انسحبت في هدوء ... ومن خلفها جموع هائلة من حيوان «نجمة البحر»، ولم يبقَ حولهم غير عدد قليل منها.

ومرةً أخرى تمكَّنوا من رؤية بعضهم البعض ... فرفعوا أصابع السبابة والوسطى علامة النصر.

إلا أن «أحمد» خفض ذراعه بسرعة، ونظر إلى ساعته ... وقد لاحظ «فهد» ذلك وعرف أنها رسالة ... فأشار إلى «عثمان» الذي قام بالاتصال بـ «أحمد» ... فوجده مشغولًا بتلقِّيها ... فانتظر أن يتصل به هو ... وقد حدث؛ فبمجرَّد انتهاء الرسالة اتصل به وبـ «فهد» وأخبرهم أن المقر يطلبهم في الغواصة ... فهناك أخبار جديدة هامة ... وقد يكون من الضروري عقد اجتماع.

وسبحوا خلف بعضهم حتى اتخذوا طريق الصعود إلى سطح الماء ... مهتدين بالبوصلة الإلكترونية المزوَّدة بها ساعاتهم ... والتي تُطلِق بين الحين والآخر ... صفيرًا لتعديل مسارهم في اتجاه الغواصة.

وعندما أصبحوا تحتها تمامًا ... أطلقت أجهزة المتابعة في كابينة القيادة ... صفيرًا حادًّا، فضغطت «ريما» بعض الأزرار ... أصبحت الغواصة بعدها مستعدةً لاستقبالهم. وعبر نفس الفتحة في مؤخرة الغواصة ... انتقل الشياطين إلى سطحها.

في نفس اللحظة كانت «إلهام» تتلقَّى تقريرًا على جهاز الكمبيوتر من المقر ... وعندما انتهت منه، لم تجد للشياطين أثرًا ... وكانت قد عرفت أنهم موجودون، فبحثت عن «ريما» لتسألها، فلم تجد لها أثرًا ... فاستخدمت كل أجهزة الاستدعاء لتحصل عليهم ... فلم يُجبها أحد ... فقامت بتفتيش الغواصة تفتيشًا دقيقًا وهي في غاية الدهشة ... فـ «أحمد» و«فهد» و«عثمان» في حاجة ماسة للراحة، غير أنهم يعرفون أن المقر يطلبهم، فأين ذهبوا ومعهم «ريما» التي تلقَّت بنفسها استدعاء المقر.

ولم يخطر ببال «إلهام» أن تبحث عن الزورق المطاط الذي يسكن صندوقًا بلاستيكيًّا في حجم حقيبة اليد.

ولو ألقت نظرةً على سطح الماء لوجدت «ريما» تعتلي ذلك الزورق، ومن حولها الشياطين الثلاثة، يفحصون جسم الغواصة؛ خوفًا من التصاق إحدى نجوم البحر بها، وهم حتى الآن لا يعرفون هل أصبح لعصارتها الهاضمة تأثير على الألياف التي يتكوَّن منها جسم الغواصة أم لا؟

وشعرت «ريما» بوخز في رسغها من ساعتها ... فضغطت زرًّا تحت الشاشة ... وتلقَّت رسالةً من المقر ... أثارت لديها رغبةً في الضحك ... فقد طلبوا منها في هذه الرسالة أن تخبرهم أين هي وبقية الشياطين؟ ... وأن تتصل إن استطاعت بـ «إلهام». وفور ما تلقَّت الرسالة ... اتصلت بـ «إلهام» من تليفونها المحمول ... وحادثتها على أن تكلِّمها من المقر.

وثارت «إلهام» جدًّا عندما سمعت ذلك ... وأنَّبتها تأنيبًا شديدًا على أنها لم تترك لها خبرًا بذلك ولم تتصل بها، فطلبت منها «ريما» أن تُلقي نظرةً على سطح الماء ... في الوقت الذي كان «أحمد» يتسلَّل فيه إلى داخل الغواصة هو و«فهد» و«عثمان» وقد شعرت بهم، إلا أنها فعلت كما طلبت منها «ريما»، فلم تجد شيئًا، فعادت إلى «أحمد» تسأله أين كانوا، فأخبرها، وعندما سألته عن «ريما» أخبرها أنها ما زالت في الزورق المطاطي بجوار الغواصة، فقالت له «إلهام»: لقد ألقيت نظرةً على سطح الماء حول الغواصة فلم أجد شيئًا.

أحمد: إنها هناك يا «إلهام»، أرجوكِ ألقي نظرةً أخرى.

جرت «إلهام» إلى كابينة قيادة الغواصة، وأدارت أجهزة المراقبة وأجهزة المسح ... فلم تجد لـ «ريما» أثرًا.

اختفاء «ريما»!

جُن جنون الشياطين عندما علموا بخبر اختفاء «ريما»؛ فليس هناك أي مُبرِّر لهذا الاختفاء ... فـ «ريما» كبقية الشياطين، بارعة في العوم والغوص ... ولا يمكن أن تكون قد غرقت ... وإن كانت قد غرقت ... فأين القارب المطاط الذي كانت تستقله؟ ولكي يهدِّئ «عثمان» من روع «إلهام» والتي كانت في غاية التوتر سألها قائلًا: أمُتأكدة أنتِ من أنها لم تدخل الغواصة؟

إلهام: ليست الغواصة كبيرةً إلى هذا الحد ... والبحث فيها لا يحتاج لوقت.

فهد: أتكون لـ «نجمة البحر» علاقة باختفائها؟

عثمان: تقصد أن تكون قد جذبتها للقاع؟

فهد: لا ... ولكن إذا التصقت إحداها بالقارب ... وقامت بإفراز عُصارتها الهضمية عليه ... فماذا سيحدث له؟

عثمان: سيتآكل هذا الجزء من الجسم، وينفجر القارب.

إلهام: أولًا: لو حدث ذلك لكنا سمعنا صوت الانفجار.

عثمان: وثانيًا؟

أحمد: وثانيًا لو انفجر القارب ... لحضرت إلينا «ريما» سباحة.

فهد: لن تُمكِّنها نجمات البحر من ذلك.

إلهام: إن حجمها صغير ولا يمكنها أن تجذب «ريما» للقاع.

عثمان: قد لا تجذبها ... ولكن تعرقلها فلا تستطيع السباحة.

فهد: نعم ... وتصطدم بوجهها فلا تستطيع التنفس.

أحمد: إذا حدث ذلك فعلًا لسمعنا صراخها.

عثمان: هل تستطيع الصراخ مع كل ذلك؟

إلهام: أنا غير مقتنعة بكل ما تقولون ... هناك شيء غريب قد حدث.

أحمد: سأتصل أنا بالمقر ... وعليك أنت يا «عثمان» أن تدور بنا في المنطقة بحثًا عنها ... وانطلق «عثمان» بالغواصة مغادرًا «رأس محمد» سابحًا بين الجزر وعينا «إلهام» تراقبان شاشات مسح القاع والسطح، و«فهد» يجلس بجوار «أحمد» حيث اتصل هو بالمقر، واتصل «أحمد» برقم «صفر» في «هايدلبرج».

وأرسل المقر طائرة هليكوبتر تمسح المنطقة ذهابًا وعودة بحثًا عن «ريما» ... أمَّا رقم «صفر» فقد أخبر «أحمد» بما غيَّر طريقهم جميعًا في كيفية البحث عن «ريما» ... فقد قال له رقم «صفر» إن طاقم السفينة الغارقة ... والتي كانت تحمل شِحنة السماد، لم يخرج من «مصر» ... وإنهم قاموا بإغراقها متعمِّدين.

وقد كانوا يصحبون معهم عالمَين ... أحدهما في الكيمياء الحيوية ... والآخر في علم الحيوان، وهما أيضًا موجودان بـ «مصر» لمتابعة مشروع ضخم يهدف إلى القضاء على الحياة البحرية في منطقة البحر الأحمر، وبالذات منطقة الشعاب المرجانية ... وتخريب كل المحميات الطبيعية الموجودة بالمنطقة.

الجدير بالذكر ... أن هذَين العالمَين موجودان بالقرب من المنطقة، والسبب ستعرفانه عند الرجوع لمركز المعلومات بالمقر.

لم ترِ هذه المعلومات ظمأ «إلهام»؛ فهي لم تُقدِّم لهم ما يفيد عن سبب اختفاء «ريما»، وطلبت عقد اجتماع عاجل في السيارة المقر ... وكان ذلك يعني أن ينتقل كل الشياطين إلى «البحر الأحمر» في غضون دقائق.

ومن بوابات المقر السري بـ «الهرم» خرجت سيارات الشياطين تسابق الريح، في اتجاه مطار غرب القاهرة، حيث كانت تنتظرهم طائرة القيادة، بِناءً على تعليمات القائد العام.

ولم تمضِ ساعة على طلب «إلهام» ... إلا وكانت الغواصة قد خرجت من الماء وتحوَّلت إلى مقر متحرِّك، تضم قاعة اجتماعاته مجموعة الشياطين تنقصهم «ريما».

وقد استعرضوا ما قاله رقم «صفر»، وربطوا بينه وبين اختفاء «ريما»، وقد كان الرأي السائد بينهم أنها قد اختُطفت.

أحمد: لماذا هي بالذات؟

مصباح: أعتقد أنهم شاهدوكم وأنتم بالقارب ... وشعروا بما تقومون به، وعندما تسلَّلتم إلى الغواصة ... استطاعوا الانفراد بـ «ريما».

عثمان: وهي تكفي للوصول إلى ما يريدون معرفته ... أليس كذلك؟

مصباح: نعم.

إلهام: سيناريو معقول.

فهد: وقريب من الحادثة التي وقعت.

قيس: ولكن ... إلى أين ذهبوا بها؟

أحمد: هذا ما أريد معرفته.

إلهام: لن يبتعدوا بها عن «البحر الأحمر».

عثمان: بل عن محمية «رأس محمد».

وهنا صاح «بوعمير» قائلًا: الصمت يا جماعة! ... ألَا تسمعون؟ ... هناك صوت منتظم رتيب أسمعه من دقائق.

أحمد: إنه أحد أجهزة المراقبة.

عثمان: سأعرف.

وقام «عثمان» بتعطيل كل الأجهزة الدائرة على السيارة المقر، إلا أن الصوت لم ينقطع، وهنا شعر الشياطين بالخطر ... وانطلق كل واحد منهم في اتجاه، يبحثون عمَّا ظنوا أنه موجود ... وأنه سيطيح بهذا المقر المعجزة ويدمِّره تدميرًا ... وسيحيل من عليه إلى أشلاء.

وضغط «أحمد» أزرارًا بساعته ... وانطلق يتتبَّع إشاراتها ... التي قادته إلى خارج المقر ... فقام بتفتيش جسم المقر الخارجي تفتيشًا دقيقًا فلم يجد شيئًا.

وعندما اقترب من عجلاته الأمامية ... زادت حدة الصفير. وتتابعت الإشارات وقام بحل العجلة اليسرى ... وفتَّشها ... فلم يجِد بها شيئًا ... فابتعد بها عن السيارة، بمسافة كافية، فانقطعت الإشارات.

وعندما عاد إلى المقر مرةً ثانية عادت الإشارات بنفس الحدة، فخلع العجلة الثانية وابتعد بها عن المقر ... بمسافة كافية، فلم تنقطع الإشارات ... ولم ينقطع الصفير، فعرف أن القنبلة موجودة في هذه العجلة، فبحث عنها في أركان العجلة بعناية، وخلع الإطار الخارجي فلم يصل إليها ... غير أن الإشارات لم تنقطع ... ولم يعد أمامه إلا أن يدحرجها بعناية حتى وصل إلى رصيف يعلو البحر بمترَين ... وقام بدفعها بقوة ... فطارت في الهواء، فعاجلها بطلقة من مسدسه، فانفجرت بشدة، وهز صوت الانفجار أركان المنطقة وتطايرت شظاياها في الهواء ... ثم سقطت على سطح الماء وتصاعدت معها ألسنة الدخان.

وقد جعل هذا الحادث الشياطين يتأكَّدون أن مختطفي «ريما» قريبون منهم ... وعليهم البحث عنهم بسرعة ... فإنهم سيحاولون الاختفاء بعد فشل عمليتهم ... وافتضاح نيتهم.

وقبل أن يستأنفوا اجتماعهم، قاموا باستبدال عجلة السيارة المقر ... بالعجلة الاحتياطية ... ثم اجتمعوا كلهم فيها إلا «مصباح» و«بوعمير»، وانطلقت بهم تجوب المنطقة مترًا مترًا ... بحثًا عن موقع قريب ... يوحي بإمكانية الاختباء فيه.

وغادر الشياطين السيارة أزواجًا ... فبعد كل كيلومتر كان اثنان منهم يغادران السيارة، حتى لم يعد فيها غير «إلهام» و«أحمد».

وانطلقت فرق الشياطين الثنائية، تفحص المنطقة فحصًا دقيقًا ... تقلب كل حجر فيها ... وتبعثر كل كومة رمل ... وتشعل النيران في كل حزمة خطب جافة ... محاولين الوصول إلى أولئك المخرِّبين قبل أن يختفوا.

أمَّا «إلهام» و«أحمد» فقد أعطيا الأمر للسيارة فأغلقت كل منافذها، وأدارت أنابيب الأوكسجين ورفعت عجلاتها ... استعدادًا للغوص في قاع البحر لاستكمال مهمة البحث.

وبعد أن مسحت الأجهزة القاع ... وقامت باستكشاف قلب المياه ... وأطلقت إشارة الاستعداد ... فضغط «أحمد» زرًّا بالتابلوه علا بعده صوت هدير المياه ... والغواصة الصغيرة تغادر سطح المياه في طريقها للأعماق.

وكانت «إلهام» تُتابع ذلك في صمت أثار حيرة «أحمد»، فسألها قائلًا: ماذا هنالك يا «إلهام»؟ فيمَ تُفكرين؟

إلهام: أُفكِّر في الشياطين.

أحمد: لا أفهم.

إلهام: أليست هذه الغواصة هي سيارتنا جميعًا ... ومقرنا؟

أحمد: نعم.

إلهام: لقد استأثرنا بها لأنفسنا وتركناهم في العراء متفرِّقين.

أحمد: نحن لم نستأثر بها؛ لأننا لا نستطيع الغوص بدونها.

إلهام: لماذا؟

أحمد: أنسيتِ نجمات البحر.

إلهام: معك حق ولكن ...

أحمد: ولكن ماذا؟ كان يجب أن يتفرَّقوا هكذا لتغطية المنطقة ... وتوسيع نطاق البحث.

إلهام: وإذا حدث مكروه؟

أحمد: «إلهام» ماذا بكِ؟

إلهام: لا شيء ... ولكن ما رأيته من «نجمة البحر» ... وغياب «ريما»، أثرا علي.

أحمد: معكِ حق، هذا غير أننا لم نحصل على راحة منذ بدأنا هذه المهمة.

إلهام: إذن فالنتيجة مضمونة ... «أحمد»، انظر.

كانت فقاعة زجاجية ذات قاعدة داكنة تسبح في الماء، وحولها تدور أسراب الأسماك بكثافة، حتى تكاد تخفيها.

فقال لها «أحمد»: إنها كبيرة جدًّا!

إلهام: أؤكِّد لك أنها غواصة أبحاث!

أحمد: أترين كيف تدور حولها أسراب الأسماك، وكأنها تحاول أن تخفيها؟

إلهام: أيكون ذلك مقصودًا؟

أحمد: في العلم الحديث ... لم يعد هناك مستحيل.

إلهام: ولكن كيف؟

أحمد: إمَّا بالتوجيه من خلال موجات لا سلكية شفرية.

إلهام: أو بث روائح جاذبة لهذا النوع من الأسماك، والذي يسبح في أسراب.

أحمد: يا لها من قدرات عقلية عالية!

إلهام: ولكننا لن نستطيع رؤية ما بداخل هذه الفقاعة بسبب الأسماك المحيطة بها.

أحمد: سأحاول التأثير عليها بطريقتي.

وفكَّر «أحمد» أن يتعامل مع الأسماك بنفس الطريقة التي اعتقد أن الآخرين يستعملونها، فلجأ إلى جهاز توليد الذبذبات الخاصة بمسح القاع، وعدَّل ذبذباته ... وغيَّر تردُّداته زيادةً ونقصانًا، فلم يلاحظ على الأسماك أي تغيير، غير أنه بعد فترة من التجارب لاحظ أن الفقاعة قد توقَّفت عن السير ونزلت في اتجاه رأسي، واستقرَّت في القاع ... ومن حولها أسراب السمك تحيطها ... وكأنها تقصد أن تصنع ستارة؛ لتُخفي ما بها.

ولم يعد أمام «أحمد» غير فكرة تمنَّى لو أنها حقَّقت ما يريد. ورغم اعتراض «إلهام» إلا أنه بدَّل ملابسه، وارتدى بدلة الغوص. ومن باب بمؤخرة الغواصة ... انتقل من أنبوب إلى آخر ... حتى أصبح خارجها ممسكًا بيده حربة ... ما إن رأته «إلهام» على شاشة المراقبة حتى عرفت ما ينوي عمله.

وبعيدًا عن الفقاعة، قابل «أحمد» فرقةً من نجوم البحر تحيط بمجموعة الشعاب المرجانية، فغرس في ظهر إحداها الحربة ... وحملها على رأسها والسائل الأبيض يسيل منها ... حتى وصل إلى المنطقة التي تقبع بها الفقاعة، فألقى عليها النجمة المجروحة ... فسقطت وسط جموع الأسماك، فتفرَّقت ثم تجمَّعت مرةً أخرى.

ونفد صبر «إلهام»، غير أن ما قصده «أحمد» بدأ يؤتي ثماره بعد أن عاد إلى الغواصة.

فقد بدأت جموع النجمات تتوافد على الفقاعة، متتبعةً مسار السائل الأبيض الذي سال من ظهر النجمة المجروحة.

واضطربت المياه حول الفقاعة من تأثير توتر حركة النجمات؛ فقد كانت تتقلَّص وتنفرد في حركات عصبية، جعلت أسراب السمك ترحل عن الفقاعة، والمكان كله، ممَّا أشعر «إلهام» بالأمل ... في رؤية ما بداخلها، وشعر «أحمد» أن خطته قد نجحت.

ولكن حدث ما لم يتوقَّعاه ... فقد أحاطت النجمات السحرية بالفقاعة، والتصقت بها، صانعةً حائطًا خارجيًّا داكنًا، فأضاعت أملهما في رؤية ما يريدان. إلا أن الأمر لم يتوقَّف عند ذلك ... فقد ارتفعت الفقاعة في الماء، ودارت حول نفسها ... واندفعت جهة اليمين وجهة اليسار ... ثم لأسفل ثم لأعلى وسط حيرة «إلهام» و«أحمد».

وقد فسَّر «أحمد» ذلك بخوفهم من أن تُذيب العصارات الهاضمة للنجمات زجاج الفقاعة، فيموتون غرقًا ... وهم غير مزوَّدين بماكينات تنفُّس الأوكسجين. ورأى أنها فرصة في القبض عليهم؛ فقد يستطيع بإطلاق النار على الفقاعة وكسرها ... أن يقبض عليهم، وينقُلهم إلى غواصته ... وتنتهي المهمة.

أصبحت هذه الفكرة هي الخيار الأساسي لـ «أحمد» في إنهاء مهمته، لذا ... فقد بدأ الاستعداد لها ... فأعدَّ مسدسه ... وجهَّزه للإطلاق في الماء، وصوَّبه تجاه الفقاعة ... وسحب أمان المسدس ... ثم ضغط على الزناد ... وخرجت الرصاصة مُحدِثةً في الماء صريرًا مزعجًا ... غير أنها لم تصِب الفقاعة بسبب سمكة ضخمة اندفعت فجأةً في طريقها ... فتلقَّتها في ظهرها، وسقطت في القاع نائمةً على جنبها ... ممَّا دفعه للاستعداد لتكرار المحاولة ... وخرجت الرصاصة الثانية محدثةً نفس الصرير المزعج لتصطدم هذه المرة بنجمة عملاقة، انزعج «أحمد» حين رآها، وكذلك كانت «إلهام».

المواجهة!

لقد تحدَّثت كل التقارير عن التغيير في طباع هذا الحيوان وسلوكه، وكل مشاهداتهم وخبراتهم معه تدل على ذلك ... ولكن ما لم يعملوا له حسابًا ... هو التغيير في حجمه أيضًا.

أيكون ذلك بفعل الهندسة الوراثية؟ ... وهل غيَّرت في حجمه فقط؟ أم أكسبته نفس الصفات التي اكتسبتها بقية نجمات البحر؟

إن حيوانًا عدوانيًّا في هذا الحجم، وله نفس الصفات ... سيكون خطيرًا جدًّا على من حوله ... والأخطر من ذلك أنه يتكاثر نفس حجمه، والغريب في الأمر، والمثير أيضًا ... أن الرصاصة التي أصابته لم تقتله ... بل لم تُقلِّل من قوته، وكأنها لم تُصِبه.

أذهلت علامات الاستفهام كلًّا من «إلهام» و«أحمد» ... وشغلتهما رؤية هذا الحيوان العملاق عن الفقاعة وما به.

غير أن ما لم يتوقَّعاه قد حدث؛ فقد فرَّت كل النجمات الصغيرات، التي كانت ملتصقةً بالفقاعة، بمجرد أن رأت الحيوان الضخم ... وكأنه احترام للقوة تعلَّمته هذه المخلوقات في عالمها الخاص.

وظهر من في الفقاعة ... أنها «ريما» ... إنها «ريما» يا «أحمد».

قالت «إلهام» ذلك ... وهي تُشير خلف زجاج نافذة الغواصة على الفقاعة الزجاجية، وأمعن «أحمد» النظر فيمن حولها ثم قال لها: أعتقد أنهما العالِمان.

إلهام: لا أظن؟

أحمد: لماذا؟

إلهام: إن مسائل الاختطاف هذه لا يقوم بها علماء.

أحمد: لكن هذه الغواصة صُنعت للأبحاث.

إلهام: وعند اللزوم للاختطاف ... وإخفاء الضحية.

أحمد: سيكون الأمر جد خطير لو لم نصل للعالِمَين.

إلهام: قد يمكننا ذلك عن طريق هذَين الرجلَين.

أحمد: لا أعتقد ... فعقول هؤلاء لا يمكن التأثير عليها.

إلهام: فلنُجرِّب.

أحمد: فلنطلق صراح «ريما» أولًا.

كانت «ريما» قد لاحظت وجود الغواصة في الماء ... وأنها تقبع بلا حركة وكأن من بها قد رأوها.

وقد لاحظت «إلهام» عن طريق نظارتها المُعظِّمة، أن «ريما» شعرت بوجود الغواصة، وأنها الآن تستعد للاشتراك مع الشياطين ... للانتهاء من هذَين الرجلَين ... وأخبرت «أحمد» بذلك، فاستعد هو الآخر للنزول إلى الماء، والتحرُّك لتخليص «ريما» والقبض على هذَين الرجلَين، واللذَين سيوصلانه إلى العالِمَين ... ليستطيع عن طريقهما أن يوقف هذه الجريمة التي تقع تحت مياه «البحر الأحمر».

وارتدى ملابس الغوص، وتزوَّد بجميع أسلحته الخفيفة والإلكترونية ... وودَّع «إلهام» التي اتفقت معه على التدخُّل إذا ما حانت الظروف. لم يُعِد خطةً محدودة ... ولم يُقرِّر شيئًا ما في نفسه، ولكنه ترك ذلك للظروف ولِمَا سيُقابله من عقبات وموانع وأخطار.

وأول ما حسب حسابه هو ذلك الحيوان الضخم، صاحب الثلاثة عشر رجلًا، وعشرات المئات من المماصات القوية ... هذا الحيوان الوحيد المغرور الذي لم يخف عندما رآه ... وكيف يخاف والأحجام الصغيرة منه ... لم تخف، بل هاجمته في شراسة ... وكرَّرت الهجوم ولم تتراجع؟

وجرَّب «أحمد» مرةً أخرى أن يطلق عليه النار ... غير أن الرصاصة بدلًا من أن تقتله وتُخلِّصه من شره، أثارته، وجعلت تواجده معه في الماء خطرًا ... غير أنه لم يتراجع وأصرَّ على أن يُخلِّص «ريما»، وسرعة القبض على العالِمَين. ومن الثقب الذي صنعته الرصاصة في جسم النجم الكبير، خرج السائل الأبيض سميكًا ... وكأن الماء لم يقوَ على حمله ... فقد سقط في القاع ليُحرِّك العشرات من نفس الحيوان، وقد أحاطت به ... وهو يُقلِّص أذرعه ويبسطها في قوة وعصبية.

غير أن الحيوانات الصغيرة لم تخَف ... بل التفَّت عليه، وبدأت في إخراج أجهزتها الهضمية ... وإفراز العصارة على جسمه ... وهو ينتفض في شدةٍ محاوِلًا التخلُّص منها ... غير أن قوته لم تُسعفه مع كثرة عددها.

وكان «أحمد» يراقبه من مكمنه وهو مشفق عليه ... ولكن لا مفر ... فالكائنات هكذا ... إمَّا صائد ... وإمَّا ضحية.

ومن الغواصة ... كانت «إلهام» تُتابع ما يحدث في فزع ... فقد تستطيع هذه النجمات الالتفاف على إنسان أو حيوان ضخم، وتصنع به مثل ما تصنع الآن في كبيرهم.

وفي الفقاعة الزجاجية كانت «ريما» تتابع ما يحدث في راحة ... فهي في هذه الفقاعة، تشعر وكأنها تسبح بلا حماية في هذا القاع المُخيف.

ولو كانت تشعر أنه أقرب ما يكون، للوقوع بين أذرع ذلك الحيوان الذي أصبح ضحية.

وبعد وقت قصير، سقطت بقايا هذا الحيوان إلى قاع البحر ... وأصبحت الفقاعة الزجاجية مكشوفةً أمام «أحمد» و«إلهام».

غير أن من كانوا بها ... لاحظوا وجود الغواصة ... فدفعوا بسائل أسود إلى الماء ... فتلوَّنت المنطقة حولهم به ... وأصبحت كالليل البهيم.

وبعد أن انقشعت هذه الغُمة السوداء ... واستطاعوا رؤية ما حولهم، لم يجدوا الفقاعة.

صاحت «إلهام» في جزع؛ فها هما يفقدان «ريما» مرةً أخرى، وقد كانت بين أيديهم، وفكَّرت أن تتصل بالمقر وتطلب من قيادته معاونتهم في مسح المنطقة عن طريق الضفادع البشرية والغواصات الحربية.

غير أن «أحمد» رفض أن يشعر بالعجز ... وقرَّر أن يستخدم ذكاءه مع هؤلاء البشر.

ووسط دهشة «إلهام» وحيرتها، وجدت «أحمد» يجلس أمام تابلوه قيادة الغواصة ويُصدر أمره لها بالصعود، وذلك بالضغط على بعض الأزرار ...

وارتفعت الغواصة إلى أعلى ثم هوت ساقطةً إلى القاع، وهي تتأرجح في غير اتزان ... وتتخبَّط في كل ما تُقابله من صخور وشعاب مرجانية ... حتى استقرَّت في القاع ساكنة ... ومثلها كان «أحمد» و«إلهام» قابعَين ساكنَين.

ومرَّت الدقائق ثقيلةً عليهما ... فليس من المطلوب أن يأتيا بحركة ... فقد يراها أحد ركاب الفقاعة من مكمنه ... يعرف أنها خدعة.

وأبدت «ريما» جزعها الشديد على زميلَيها القابعَين في الغواصة ... فقد كانت تراهما من مكان غير بعيد.

ولم يستطِع «أحمد» رؤيتهم ولا «إلهام» ... لأنهم غطوا الفقاعة بغِلاف من الشعاب المرجانية الصناعية.

لذا عندما خرج أحدهم منها لاستطلاع أمر الغواصة، لم يلاحِظه أحد من الشياطين ... حتى اقترب من إحدى نوافذها، فتمادى «أحمد» و«إلهام» في النوم واصطناع الإغماء.

فدار الرجل حولهما وكأنه يبحث عن منفذ يدخل منه ... وطال وقت بحثه، وتعب «أحمد» من نومته وكذلك «إلهام»، فتقلَّبا بهدوء شديد خشية أن يراهما هو أو زميله في الفقاعة.

وأعيت الرجل الحيل، ولم يجد وسيلةً لدخول الغواصة، فعاد إلى الفقاعة، وأحضر زميله، وأصبحت «ريما» وحدها في الفقاعة.

وعندما رأت «إلهام» ذلك، اقترحت على «أحمد» أن يتحرَّكا بالغواصة بسرعة ليصيرا بجوار «ريما» ويحمياها، حتى يطلقا سراحها.

وأعجبت الفكرة «أحمد» إلا أنه آثر التريُّث لسببَين؛ أولهما ... حتى يبتعدا بالقدر الكافي عن الفقاعة.

والثاني ... أن يمعن التفكير فيما يمكن أن يقوم بعمله هذان الرجلان من موقعهما ... وبالفعل ... انتظر «أحمد» حتى اقتربا منهما كثيرًا ... ثم زحف على بطنه حتى دخل كابينة القيادة.

وعندما دار الرجلان حول الغواصة، عكس بعضهما، انتفض «أحمد» واقفًا وأدار محرِّكاتها، وانطلق بها وسط ذهول ورُعب الرجلَين، اللذَين انطلقا في أثرها ... يحاولان اللحاق بـ «ريما».

وقد كانت «ريما» في الفقاعة تبحث عن مفاتيح قيادتها، غير أنها لم تصل إلى شيء؛ فقد كانت تدور ببصمة الصوت، حتى فَتْح باب الأنبوب الذي يؤدِّي إلى خارجها، كان يُفتح ببصمة صوت أحد الرجلَين.

ولم يكن «أحمد» يعلم ذلك، وخافت «ريما» أن يقتلهما، فتموت مختنقةً بداخلها. وبالفعل ... وصلت الغواصة قبل الرجلَين إلى الفقاعة، فانهالت الرصاصات عليها من كل اتجاه ... ورأى «أحمد» أن يرد عليهما؛ حتى لا يدمِّرا الغواصة، ولا يستطيعا إكمال مهمتهما بها.

وقبل أن يخرج لهم منها، كانت الفقاعة قد تحرَّكت وحدها، مبتعدةً عن المكان ومن خلفها الرجلان، حتى استقرَّت مرةً أخرى وسط الشعاب المرجانية والرجلان في أثرها.

وعرفت «ريما» أنهما سيدخلانها من باب الأنبوب ... وسيكون في هذا الوقت مفتوحًا، فإن أصابتهما وهما في طريقهما للدخول، تستطيع بعد ذلك دفعهما للخارج، وتخرج خلفهما.

ولكنها رأت أن «أحمد» قد يحتاجهما للوصول إلى العالِمَين، هذا من ناحية، ومن الناحية الأخرى أن أحدهما قد يموت ... ويهرب الآخر؛ ليصطادها خارج الفقاعة.

وكان «أحمد» في الغواصة يفكِّر بنفس طريقة «ريما»؛ لذا ... فقد خرج من الغواصة يسبح إلى أن اقترب منهما، وكان أحدهما يدخل إلى الفقاعة، فانتظروا إلى أن شرع الآخر في الدخول ... ومدَّ ذراعَيه لآخرهما داخل أنبوبة الدخول ليسحب باقي جسمه ... فاندفع إليه وألصق مسدسًا في قدمه.

وعندما رأى زميله في الفقاعة ذلك ... أطلق عليه النار، ثم دفعه إلى الخارج بقدمه وأغلق الأنبوب مرةً أخرى.

وجزعت «ريما» لِمَا حدث، ونظر لها الرجل والشرر يتطاير من عينَيه ... ثم ألصق فُوَّهة المسدس برأسها، وطلب منها أن تشير لـ «أحمد» بالابتعاد، ففعلت ذلك.

ونزولًا على رغبتها، وخوفًا على حياتها ... عاد «أحمد» من حيث أتى، لكنه لم يعد إلى الغواصة ... بل لفَّ حول الفقاعة، مختفيًا وسط الشعاب المرجانية، ثم تعلَّق بالغطاء الخدعة الذي تتخفَّى فيه.

وبدأت «إلهام» تشعر بالخوف ... فقد قتل الرجل زميله بيده؛ ممَّا أفقده أعصابه، هذا غير شعوره أنه أصبح وحده.

وكان ذلك ما يدور برأس «أحمد»، ففكَّر أن يستفيد منه ... فاتصل بـ «إلهام» وطلب منها أن تُغادر الغواصة.

وفعلت «إلهام» وسبحت في منطقة واضحة للجميع، وابتعدت عن الغواصة بمسافة حرَّكت أطماع الرجل ... فانطلق بالفقاعة و«أحمد» مُتعلِّق بها ... ثم توقَّف بجوارها وخرج منها شاهرًا مسدسه ... فأمسك «أحمد» بيده وضغط عليها بشدة ... فصرخ وترك المسدس ... وقد كان نصفه السفلي داخل الفقاعة.

فأمسكت «ريما» بقدمَيه ... وتحت تهديد السلاح ... خرج وفي أثره «ريما».

وفي الغواصة قاموا بتقييده ... وانطلقوا يدورون حول الفقاعة، فشاهدوا جثة القتيل وحولها الكثير من نجمات البحر قد التصقت بها.

وبضغط بضعة أزرار ارتفعت الغواصة إلى سطح الماء، وأول ما فعلوه بعد خروجهم إلى اليابسة هو الاتصال برقم «صفر» الذي هنأهم على انتهاء الجزء الأول من العملية.

هنـــداوي